الانثروبولوجي الفرنسي ميكائيل بارا لـ «مدارات غربية»

العالم العربي مفخخ بتصورات إثنية

أخذت مسألة الأقليات في العالم العربي مساحة واسعة من الجدل في الفكر الاستراتيجي الغربي والأوروبي بصفة خاصة. مرد ذلك إلى جملة عوامل أهمها: صدمات اللقاء الحضاري بين الغرب والشرق، والآثار المترتبة على تشكّل الدول الأمم في غرب أوروبا.

هذا الحوار الذي أجراه ناشر «مدارات غربية» في باريس الدكتور محمد نعمة مع الباحث الفرنسي ميكائيل بارا (Mikail Barah) يضيء على أبرز الإشكاليات المتعلقة بالأقليات الإثنية والعرقية في العالم العربي. وموقع هذه الأقليات في تشكيل وإعادة تشكيل خرائط القوى وصراعاتها ماضياً وحاضراً.

ميكائيل بارا: مستعرب متخصص في العلوم السياسية و العلاقات الدولية والحضارة الإسلامية ومدير تحرير القضايا الدولية في مجلة Médina «مدينة» و هي دورية فرنسية متخصصة في انثروبولوجية العمران و النظم المدنية، كما يعمل حالياً كباحث متخصص في قضايا الشرق الأوسط في معهد العلاقات الدولية والإستراتيجية في فرنسا. (IRIS)

«مدارات غربية»

حاوره في باريس: **د. محمد نعمة**

تعريب: **جورجيت حداد**

- مدارات غربية: رغم وجود المسألة الكردية في العراق، و أزمة جنوب السودان و إقليم دارفور وكذلك، مسألة البربر في المغرب العربي، لا تزال قضية الأقليات الإتنية و اللغوية في العالم العربي تحتل مركزاً ثانوياً في الاهتمامات الفكرية العربية وحتى الغربية. ما هو السبب بنظركم؟ ما رأيكم في تطور علاقة الأقليات الإتنية مع الأكثرية العربية؟

- ميكائيل بارا: إن المفكرين الغربيين سواء كانوا مستشرقين أم لا فإنهم يلجأون غالباً إلى وصف «نظرتهم» للشرق بتأكيدهم على حقوق الأقليات و ضرورة حمايتها. على عكس ذلك، فإن من الصحيح إن هذه المسألة لا تبدو في عداد الاهتمامات الكبرى للمفكرين العرب بشكل عام. لكن يمكن إيجاد أسباب عديدة لهذا الموقف، أشير فقط إلى ثلاثة منها أساسية:

على المستوى التاريخي أولاً، علينا أن لا ننسى أن آخر حركة فكرية واسعة عرفها العالم العربي كانت النهضة، في نهاية القرن التاسع عشر. إن هذا التدعيم الفكري و اللغوي كان يهدف إلى تقوية الوجه الثقافي و الحضاري للغة و للفكر

العربي. لذلك كانت العروبة تعتبر كقاسم مشترك لكل العرب، من دون أن تمس بانتماءاتهم الطائفية و العشائرية أو جذورهم الإتنية. فالمثقفون العرب المعاصرون الذين تشكل هذه النهضة الحاسمة جزءاً من ثقافتهم لم تكن لديهم «ردة الفعل» الفكرية لتصوُّر العالم العربي من خلال خصوصياته الإتنية أو الثقافية.

ثم على المستوى السياسي، فإن الجمود الذي تواجهه المجتمعات العربية في أكثريتها الساحقة، يقف عائقاً أيضاً في وجه صعود خطاب قائم على الخصوصيات الإتنية. يظهر واضحاً هذا الاتجاه في الشرق الأوسط؛ إذ أن هذه المنطقة تواجه منذ حوالي ستين عاماً خطابات عقائدية محكومة بالرهانات المرتبطة بالصراعات الإسرائيلية- العربية. وعلى هذا، أدت العروبة وضرورة حماية الوحدة العربية في وجه الدولة العبرية إلى رفض قيام أي خطاب حول خصوصيات الجماعات من قبل أجهزة الدولة. أما المثقفون فرغم أنهم كانوا يرغبون بالتمايز عن هذه المواقف « الصائبة سياسياً» لم يكن بإمكانهم أن يدخلوا في مواجهة مع الخطاب الرسمي خوفاً من أن يدفعوا غالياً ثمن هذا الموقف. ومن الشائع في العالم العربي أن السياسة لها الأولوية على الثقافة.

أدت العروبة وضرورة حماية الوحدة العربية في وجه الدولة العبرية إلى رفض قيام أي خطاب حول خصوصيات الجماعات من قبل أجهزة الدولة.

أما على الصعيد الديني أخيراً، علينا ألاّ ننسى أن الشرق الأوسط يتألف بنسبة تسعين بالمائة منه من السنَّة سواء كانوا عرباً أم لا، و الجميع يعلم مدى رسوخ المسائل الدينية في هذه المنطقة من العالم، بحيث يصبح بديهياً أن يجد كل شخص لا ينتمي إلى هذه الفئة من الإسلام نفسه في وضعية الأقلية منذ اللحظة التي يتحول فيها إلى صاحب مطالب. هذه الوقائع على ما هي عليه ، هي حقيقة اجتماعية يصعب على المثقفين أن يعارضوها. إلا أنني لست أكيداً من أن يسمح الواقع الراهن للعالم العربي على الأقل في هذه المرحلة، بالتفكير وفق تعابير العلاقات بين الأقليات الإتنية و الأكثرية العربية. إن هذا الوضع بإمكانه بالطبع أن يتغير بسرعة غير متوقعة. إلا أن نظرة سريعة على حالة الشرق الأوسط تسمح لنا بأن نلاحظ أن هذا الإنقسام محدود حتى لو كانت هناك مناطق واسعة تبرز فيها هذه الظاهرة. اعني بهذا مطالب البربر في الجزائر، و لكن على الأخص مطالب الأكراد الملحة في العراق و الذين بالإضافة إلى ذلك لديهم إمكانية امتداد تتجاوز الدول (إلى تركيا و إيران و سوريا). و على هذا الصعيد لا يسعنا إلا أن نلاحظ أن هذه الخصوصيات ليس بإمكانها إلا أن تولّد ردّات فعل عنيفة طالما أنها تصطدم بمحرم (تابو) وهو الوحدة العربية، وهذه حجة فكرية أكثر من كونها اقتناعاً. يبدو لي على العكس من ذلك إن مسألة العلاقات القائمة بين

الحكومات العربية و الأقليات الوطنية الدينية و الطائفية تجري في إطار أكثر توافقاً مع الواقع الراهن كما تبرهن عن ذلك المطالب التي يتقدم بها مسيحيو مصر والسودان و كذلك العراق.

م.غ : «العالم العربي» أو «الوطن العربي» مفهومان جميلان. و لكن ألا يقتضي الواقع إعادة النظر في هذه المفاهيم من اجل اكتشاف الحدود بين الواقعي و اللاواقعي، بين ما هو خيالي و ما هو محسوس؟ هل بإمكانكم توضيح الخط الفاصل بين هذه الحدود؟

– **م. بارا** : إن التعبير الأصلي «الوحدة العربية» لا وجود له إلا في الأوهام التي يروج لها قادة المنطقة الحاليين. فهم غير مقتنعين أو لم يعودوا مقتنعين بواقعية هذا المفهوم الذي كان له شأنه، و لكنهم يستمرون في استخدامه إلى ما لا نهاية بخلاف حكم الواقع. يكفي أن نتابع حيثيات مختلف منظمات العمل الجماعي لبلدان الشرق الأوسط كالجامعة العربية، و اتحاد المغرب العربي، ومجلس التعاون الخليجي، الخ... لكي نقتنع بذلك. إن التفكك العربي المأساوي يدل على أن المصالح الإقليمية تتقدم على سواها. لذلك فإن المناطق التقليدية المكونة للشرق الأوسط كالمغرب، والشرق الأدنى، وشبه الجزيرة العربية، تقتصر اليوم على دور واحد ووحيد هو التسمية الجغرافية، و التي تظل رغم ذلك مستندة إلى قاسم ثقافي مشترك بين غالبية سكان هذه المناطق المذكورة. أما بالنسبة للمواضيع الأخرى فإن تصنيف العالم العربي يعود إلى إدراك سياسي للأمور، و يتحدد بناء على مسألة أساسية: هل الحكومات مؤيدة للسياسة الأميركية في المنطقة أم معارضة لها؟ انه المؤشر الوحيد للتقييم السائد حالياً على الأقل في أوساط الرأي العام العربي. إلا أنني، مع ذلك، لا أجد ضرورة فعلية لاستبدال تسمية «عالم عربي» بأخرى. على الأقل لمجرد أسباب براغماتية وإذن فما هو البديل ؟ إن الرغبة في معارضة الشكل الإقليمي الحالي قد يؤدي سريعاً إلى إعادة التمركز حول الدول – الأمم، والذي ليس بالضرورة أن يكون مبشراً بالخير. كذلك الأمر فإن كسر البنيات الوطنية يعني إعطاء الأفضلية لانغلاق الخصوصيات المحلية على نفسها، وبالتالي تفسخ الحكومات المركزية الحالية فيما بعد. فالعراق خير مثال على ذلك : رغم إن توحده الفيدرالي يبدو حالياً امراً مكتسباً بحكم الواقع. إلا انه يبقى أن نرى ما إذا كان هذا التوحد الفيدرالي سيستمر فيما بعد في إطار جهاز سلطة وطنية أم أنه سوف يترجم من خلال ولادة كيانات سياسية مستقلة جديدة.

إن التفكك العربي المأساوي يدل على أن المصالح الإقليمية تتقدم على سواها.

م. غ : الأفكار الليـبرالية في العـالم العربي حـاليـاً تترافق مع الانطواء على الظاهرة العراقية (العرقنة) و الجـزائرية (الجزأرة) و اللبنانيـة (اللبننة) الخ ...بينما يحجب الإسلام السياسي مسألة الأقليات، سواء بالصيغة الجهادية التي تدعو إلى «الأمة الإسلاميـة»، فيما يتجاوز حدود العالم العربـي أو بالصيغة الوطنية كما هو حال جبهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية التي تستبعد التعددية اللغوية والإتنية في الجزائر. في هذا الإطار، كيف تستطيع الأقليات الإتنية أن تجد محاوراً جديراً بها، في الوقت الذي برهن فيه العروبيون عن عجزهم في حل هذه المسألة، أو حتى تصور برنامج يعكس الاحترام و الوفاق بين الإتنيات؟ خارج التمزق هل هناك إمكانية لحلول أخرى تبعث على التفاؤل؟ و ما هي ؟

– **م. بارا :** من الطبيعي أن يدعو الإسلام السياسي غالباً إلى وحدة لا يمكن بأي شكل مقارنتها بالمثل العليا للعروبة. بينما تدعو القومية العربية إلى وحدة تقوم على التاريخ و الثقافة المشتركة، وتطمح إلى مشروع سياسي متين، متجاوزة كل عامل خلافي مثل الدين أو الخصوصيات العشائرية. يحبذ الإسلام السياسي النظرة الحصرية التي هي بالطبع أكثر امتداداً في المكان، و لكنها تبقى أسيرة عامل ذاتي لا نقاش فيه هو الدين؛ لا بل الطائفة (وبناء على ذلك الطائفة السنية). إن الأقليات من وجهة النظر الإسلامية تتطابق بهذه الطريقة مع تعريف خاص بالإسلاميين، تعريف يحمل خطر أن يترجم إلى تنكر لفئات بأكملها من السكان و بالتالي إلى إقصائها بشكل أساسي و فعلي.

إن الأقليات من وجهة النظر الإسلامية تتطابق مع تعريف خاص بالإسلاميين، وهو تعريف يحمل خطر أن يترجم إلى تنكر لفئات بأكملها من السكان و بالتالي إلى إقصائها بشكل أساسي وفعلي.

أمام هذا الوضع، تجد الأقليات منذ اللحظة التي تعتبر نفسها أقلية أن خياراتها محدودة. فالحل الأكثر حكمة يكمن من ناحيتها في تأقلم مع محيطها، يضاف إليه المطالبة بحقوق المواطنية الوطنية. وكذلك عندما تجد أنها مغبونة لمجرد كونها تشكل خصوصيات معينة. والحل الآخر يكمن في القيام بمظاهرات مطلبية، مع ما يتضمنه ذلك من أخطار التعرض للقمع الحكومي الذي يمكن أن يستثيره. لكن الصعوبة الكبرى في النهاية تكمن في السؤال التالي: هل حق الشعوب في تقرير مصيرها يبرر- رغم كل شيء- خطر الوصول إلى مواجهات عنيفة بإمكانها أن تهدد بقوة استقرار الدول – الأمم الراهنة؟ انه جدال يصعب البتُّ به. وهو لا يقتصر على الشرق الأوسط. فمشكلة كورسيكا و الباسك هي دليل واضح على ما يجري في أوروبا. ورغم ذلك يظل كل تأكيد لأقلية معينة منذ اللحظة التي تسند إلى نفسها خصوصية مناطقية موازية للدولة، يحمل خطر مواجهته بقسوة طالما انه يبدو كخطر يهدد التماسك المعلن من قبل الدول – الأمم.

ـ م. غ : ألا تعتقدون أن الإشكالية الإتنية هي في الأصل إشكالية إدراك الأكثرية العربية لذاتها و للآخر؟ و إلا كيف نفسر غياب مشاريع و برامج و أطر إجتماعية– سياسية يمكنها أن تؤمن أو تدير حواراً بين الأكثرية و الأقليات الإتنية في مسار بنّاء و مفيد للجميع؟

– **م. بارا :** لا يمكننا أن ننكر النزعة الموجودة عند كثيرين من العرب للإنقياد إلى خطابات مبنية على التمايز الإتني. ولكن يجب ألاّ ننسى أن تعريف الهوية يطرح نفسه في الأغلب على أساس دين و طائفة المواطنين المحليين في بلد معين. انه ميل طبيعي يندرج في رموز التواصل و الإدراك في مجمل المنطقة، و يفسره الكثيرون بكونه يشكل الإرث التاريخي الثقيل والوافر والمتراكم في هذه المنطقة. إن الإنشقاقات داخل الإسلام و المسيحية، و الحروب الدينية، و الغزوات الخارجية، والمزايدات الطائفية، تدمغ جميعها بطابعها بصورة عميقة جداً الهوية العربية سواء كانت مسيحية أم مسلمة. بناء على ذلك فان الأكثرية العربية أصبحت تتموضع إتنياً بشكل واضح، و لكن على غرار إدراكاتها للآخر المستندة إلى الانتماء الطائفي. فبالرغم مما في الأمر من استفزاز، ففي النهاية إن وجود الدولة القوية يبدو انه هو الذي يؤخر موعد الانفجار العام. إن سوريا هي نموذج عما سبق ، مع التخوف الذي يسود العلاقات بين السنة و العلويين من جهة والعرب والأكراد من جهة ثانية دون أن يجرؤ على الظهور بشكل واضح. والبحرين هي مثل آخر حيث مختلف التجاذبات البرلمانية لا تخفي مواجهة ضمنية تضع سنَّة البلاد في تعارض مع شيعتها. لذا فإن المشاريع التي تعزز الأقليات لا يجري حتى ذكرها.إن السير بهذا الاتجاه يعني بالفعل الاعتراف بوجود فعلي لطائفة وطنية مغبونة الحقوق. و أضيف أخيراً إلى ما سبق، إن مثلي سوريا و البحرين يتعلقان بوضعية تحاول فيها أكثرية طائفية انتزاع السلطة من الأقلية المسيطرة، مما يدل على أن مشكلة الأقليات لا يمكن معالجتها من خلال نفس المعادلة الواحدة القائلة بان الأقل عدداً هم بالضرورة الأكثر حرماناً.

إن الإنشقاقات داخل الإسلام و المسيحية، والحروب الدينية، والغزوات الخارجية، والمزايدات الطائفية، تدمغ جميعها بطابعها بصورة عميقة جداً الهوية العربية سواء كانت مسيحية أم مسلمة.

م.غ : كيف تحللون السيناريوهات، و المشاريع الانفصالية، و الحكم الذاتي، أو الانقسام الإتني و اللغوي، التي تتهيأ حالياً في العالم العربي، في الوقت الذي يُرسم العالم من جديد على أساس التكتلات الكبرى؟ ما هو مصدر هاجس «الطلاق» هذا ؟

– **م.بارا :** إن أول تقسيم للعالم العربي حدث مع اتفاقيات سايكس – بيكو

(عام 1916). وهي الاتفاقيات التي كرست تقطيعاً حدودياً لجزء كبير من الشرق الأوسط من قبل القوى العظمى الفرنسية و البريطانية التي تحرص على التقسيم من اجل أن تسود بشكل أفضل. على كل حال إن القارة الإفريقية لم تكن أفضل من ذلك على هذا الصعيد. لكن هل هناك اليوم إعادة تقطيع للشرق الأوسط يخطط لها؟ إن بعض الدلائل تدفع لتأكيد هذه الفكرة. فالاجتياح الأميركي – البريطاني للعراق كرس بالفعل توحيداً فيدرالياً للعراق بحكم الواقع، ولكنه ينتظر أن يتثبت بجهاز مؤسساتي رسمي. إن الأحداث التي طرأت على لبنان مع اغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري تقوي خطر الاضطرابات الطائفية التي بإمكانها الظهور على أمد بعيد. كل هذا ليس بمنأى عن ظهور بؤر توتر خارجية يمكنها أن تنتج مباشرة عن هذه الأحداث كما تدل على ذلك انتفاضة الأكراد في سوريا في ربيع عام 2004 التي لم تكن معقولة قبل اجتياح العراق في آذار 2003. إلا أن الهفوة الأساسية في هذه الانتفاضات المحلية تكمن في العنصر المفجر و هو التدخل العسكري الأميركي في المنطقة. إن أول قوة عظمى عالمية ليست حتماً متجردة عن أطماع إستراتيجية و من ضمنها الحصول على قاعدة أفضل لمصالحها في المنطقة. لذا، رغم أن حق تقرير المصير الشعوب هو مشروع بحد ذاته لكن ذلك يجب ألاَّ يدفعنا إلى الاستسلام لكل تمرد شعبي من أي نوع كان. إن احترام الأقليات في إطار نفس الحيِّز الوطني الواحد يظل قابلاً للتحقيق و هو الضمانة الوحيدة للُّحمة الجيدة بين الأوطان المكونة للعالم العربي المعاصر.

إن الأحداث التي طرأت على لبنان مع اغتيال رئيس الحكومة السابق رفيق الحريري تقوي خطر الاضطرابات الطائفية التي بإمكانها الظهور على أمد بعيد.

م. غ : هل المشاريع الإنفصالية بين الإتنيات يمكن أن تقدم لهذه الأقليات التقدم و الأمن اللذين تنشدهما؟ هل أن سكان هذه المنطقة سيظلون محكومين بالبقاء في حلقة تنازع مع أو بدون انفصال إتني و إلى أجل غير مسمى؟

– **م.بارا :** اعتقد أن أي مشروع انفصال و على الأخص إذا جرى تشجيعه من قبل لاعب خارجي عن المنطقة هو بالدرجة الأولى وسيلة للسعي إلى «التقسيم من أجل مزيد من السيطرة» (فرق تسد) . و بهذه الصفة أشك كثيراً في أن تقدر هذه الانغلاقات الإتنية و/ أو الطائفية فيما بعد على توليد الطمأنينة في الشرق الأوسط. على العكس. إذا قرر السنة والشيعة والأكراد والزردشتيون والدروز والعلويون والموارنة والملكيون وكذلك الروم الأرثوذكس أن ينظموا أنفسهم وفق انتماءاتهم الطائفية فهنالك احتمالات قوية بان يسعوا إلى ترجمة انطوائهم على هويتهم الذاتية عبر خلق كيانات جغرافية متميزة ومنفصلة الواحدة عن الأخرى. أي خلق وضع يقوم على نقيض مقتضيات اللحمة السليمة و التفاهم

والسلام بين الشعوب. لذلك أعتقد أن الأطر الوطنية الحالية تظل خير ضمانة لاحترام الأقليات . في هذا الإطار إن التغيير يجب أن يحدث من الأعلى و ليس من الأسفل، والحكومات المتهمة بممارسة التمييز ضد الأقليات في بلادها يجب أن تحاكم بمقياس التشريع الدولي والقضاء السامي المحايد والمتخصص في هذا الموضوع.

م. غ : هل تعكس ظاهرات الانغلاق أو الانفصال الاتنية أو اللغوية في العالم العربي فقط إشكالية معينة بين الأكثرية والأقلية، أم أنها تعبِّر بالتحديد عن أزمة وجودية عمودية و عميقة تعيشها الأكثرية كما تعيشها الأقليات؟

– **م. بارا :** إن المطالب التي ترفعها طوائف معينة تولدها عادة مشاعر الإحباط و الإجحاف الذي يمارس بحقها. هذا بالإضافة إلى خصوصية تعود كما أشرت آنفاً إلى الإرث الديني الثقيل الذي يميز الشرق الأوسط. ولذا فإن العصيان والإعتراض السياسي، حتى عندما يتلاقى مع خلفيات طائفية مسبقة، فان هذا لا يعود بالضرورة إلى الأقليات وحدها. فالمطالب التي يرفعها البربر في الجزائر أو الشيعة في البحرين، لا ترتبط بمنطق تفرضه الدونية العددية. إن المطالب الاجتماعية هي في المحصلة ملازمة لكل مجتمع أينما وجد في العالم. و لكن من الطبيعي أن احتدام الشعور الطائفي الملازم لمنطقة الشرق الأوسط والممزوج بممارسات حكومية بعيدة جداً عن التطابق مع المعايير الغربية للديمقراطية هو الذي يدفعنا غالباً لان نرى في كل مطلب تعبيراً مشروعاً عن ضيق شديد. و لكن تحليل كل حالة بمفردها بإمكانه أن يدفعنا إلى التخفيف إلى حد ما من الإنفعالات التي سريعاً ما تتأجج تجاه كل ما ينتمي من قريب أو بعيد إلى الثورة.

إن المطالب التي ترفعها طوائف معينة تولدها عادة مشاعر الإحباط و الإجحاف الذي يمارس بحقها. هذا بالإضافة إلى خصوصية تعود كما أشرت آنفاً إلى الإرث الديني الثقيل الذي يميز الشرق الأوسط.

م.غ : هل من الممكن تصور حل لإشكالية العالم العربي المتعدد الإتنيات من دون ربطه بمسائل أساسية و حامية مثل: من نحن؟ ما هي أولوياتنا؟ كيف يمكن تصور مستقبل المنطقة؟ كيف نقرأ الماضي و نرسم الحاضر كي يتمكن أطفال هذه المنطقة أن يقرأوا سوية نفس الكتاب اللائق و الآمن ، كتاب الحياة؟ هل تجدون أن العالم العربي قادر على إطلاق هذا التساؤل عن كيانه و هويته ومستقبله؟ وبالتالي ماذا ينقصه لأجل ذلك؟

– **م. بارا :** يجتاز العالم العربي أزمة عميقة، وفضلاً عن ذلك انه عالمٌ مفخخ بتصورات من النوع الإتني و الطائفي و التي تتجه لدفع العصبيات نحو ذروتها. وهذا الوضع يحمل بالطبع إشكالية كي لا نقول انه وضع خطير لأنه لم يسمح بعد باستشفاف الفرص الحقيقية لقيام لحمة دائمة.

فـالعـروبة برأيي كـانت فكرة مـحـمـودة، و لكنـهـا أصـيـبت بالـفـشل، ليس لاسـتحـالة تحقق هذا المثال النموذجي، بل يرجع ذلك لسـرمديـة أنظمـة اسـتغلّت الوضـع الإقليمي المتأثر، بالنسـبة لكثيرين، بثقل وطأة الصـراعات الإسـرائيلية – العربية. هذه الأنظمة وصلت سريعاً إلى تحجر ينطوي على آثار ضارة حكماً. إن الجمود السـياسـي ولّد جموداً اجتمـاعياً خطيراً و الحلول هي بمتناول اليد إلا انه لا يمكن تصورها إلا على أمد بعيد جداً.

وبرأيي هناك اولـويتـان يجب الدفـع بهـمـا سـريعـاً إلى الإمـام هـمـا : القيـام أولاً بإصلاح عميق للأنظمة السـيـاسـيـة القائمة وقيام العرب ثانياً بعمل معمق يتناول تاريخهم و حـاضرهم الصعب. على صـعيد النقطة الأولـى ينبـغي تجنب سيناريو جديد على الطريقة العراقية لأنه ذو مردود عكسـي، و التوظيف الجدي و الحازم من جانب الاتحـاد الأوروبي من أجل تشـجـيع الديمقراطية في بلدان المنطقة هو البديل الأفضـل، خصوصـاً وإن الشعوب العربية هي ذات قابلية قوية لأن تكون أكثـر اسـتجـابة للمبـادرات و الضـغوط الأوروبيـة من اسـتجـابتـها لأي مـبادرة أميركـيـة. أمـا بالنسـبـة لبقـيـة العـمل المفترض على العرب القيـام به بـخصـوص تاريخـهم ذاته، فيبدو لي انه من الصـعب تشـجـيعه من دون انخراط حـازم فيه لمثقـفي المنطقـة الذين لهم كلمـتـهم في هذا الشـأن منذ اللحظة التي يجدون فـيـها الفرصـة سـانحة لان يعبروا عن أفكارهم أو يجدوا من يصـغي إليهم. إن المثقفين لا يزالون لحـسـن الحظ يجسـدون طريق الحكمـة الذي يحـتـاج إليه العـالم العـربي بشدّة اليوم أكثر من أي يوم مضـى. إن وضـع العالم العربي حرج، و لكنه مع ذلك ليس وضـعـاً مـيـؤوسـاً منه. المهم هو إفسـاح المجال للأحـداث بان تـأخذ مـداهـا و بالأخص بان تُحدد الأهداف المنتجة، والدقيقة والمعقولة.

يجتاز العالم العربي أزمة عميقة، وفضلاً عن ذلك، فإنه مفخخ بتصورات من النوع الإتني و الطائفي والتي تتجه لدفع العصبيات نحو ذروتها.